وكل واحد من هذه الأمور الأربعة فى حاجة إلى بيان وتأييد .

أما الأمر الأول فقد نص سيبويه على نماذج منه ، وذكر رأيه فيها ثم شرح ذلك ابن جنى نظرياً فى أكثر من موضع من كتابه « الخصائص » وقدم له تعلات افتراضية تعجب الذهن .

* فما أورده سيبويه : هذا باب ما كان من (أفْعَل) صفة فى بعض اللغات ، واسماً فى أكثر الكلام ، وذلك (أجدل وأخيل وأفعى) فأجود ذلك أن يكون هذا النحو اسماً ، وقد جعله بعضهم صفة[1] .

* ويقول ابن جنى : إذا تساوت اللغتان ، فلك أن تستعمل إحداهما ، وليس لك أن ترد إحدى اللغتين بصاحبتها ، لأنها ليست أحق بذلك من رسيلتها . . .

فإذا قلت إحداهما رواية ، وكثرت الأخرى ، نأخذ بأوسعهما رواية ، فإذا كان الأمر فى اللغة المعمول عليها هكذا وعلى هذا ، فيجب أن يقل استعمالها ، وأن يتخير ما هو أقوى وأشيع منها ، إلا أن إنساناً لو استعملها ، لم يكن مخطئاً لكلام العرب ، ولكنه كان يكون مخطئاً لأجود اللغتين[2] .

فالذى يفهم من هذين النصين اعتبار النحاة « الكثرة والقلة » فى اللغتين أو اللغات ، وأن اللغة إذا كثرت فى الكلام تكون أجود مما قلت فيه — كما قال سيبويه — ومن استعمل القليلة منهما يكون مخطئاً لأجودهما — كما قال ابن جنى — بل إن ابن جنى ليذهب أبعد من ذلك ، إذ يلزم المتكلم

---

(١) كتاب سيبويه جـ ٢ ص ٥ .

(٢) راجع : الخصائص جـ ٢ ص ١٠ — ١١ .